

الفوضى الاجتماعية في أوروبا

الأستاذ حسن مظهر

كثرة الفجر... الخوف من الأمراض... دلاك نحو ١٠ ملايين أوروبي جوعا
في هذا الشتاء... أطفال مشردون يتهددون السلام المقبل... الالال العائلي
انتشار البقاء الخ... الخ

ما أن وضعت الحرب أوزارها في أوروبا حتى عمتها موجة هائلة من الاضطراب أخذت
تزايد يوما عن يوم بسبب تدمير المدن والقرى ، وتقص الأغذية والأكسية ، وتكاثر عدد
اللاجئين والمشردين وطالبي القوت والمأوى .

ويقول الصحفيون الذين زاروا أصقاع أوروبا المخربة إن هذه القارة تعاني فوضى
داهمة لم يشهد لها التاريخ مثيلا منذ العصور الوسطى ، وإن الحالة السيئة القائمة هناك خصوصا
في ألمانيا توجب على المسؤولين في العالم كله أن يتداركوها بحزم وسرعة ، والا استجالت كارثة
كبيرة تنتشر فيها المجاعات والأوبئة والجرائم ويذهب ضحاياها عشرات الملايين ! ...

وقد كان عدد المشردين الذين هاموا على وجوههم في أوروبا في ظل الحكم الازي يبلغ
نحو سبعة ملايين شريد من جميع الأوطان ، منهم الهولاندي والبلجيكي ، ومنهم الفرنسي
والإيطالي ، ومنهم الروسي والتشيكي والبولوني ، ومنهم اليوناني والبلغاري . ولكن أكثرهم
نزحوا إلى أوطانهم بعد وقف القتال وراحوا يطالبون بالأطعمة والكساء والمساكن .
وبقي في ألمانيا منهم بحسب آخر احصاء للجنة الحلفاء التي تتولى أمورهم ٣١٠٩,٠٠٠ شخص
يعيش منهم ١,٩١٢,٨٨٣ في معسكرات بينما يضرب الباقون في الأرض على غير حدى .

يحولون إلى أقوام من الفجر !

وقد حدث أخيرا أن هبطت على ألمانيا أفواج مشردة لا عداد لها من بوزونيا وبلاد
السوديت وتشيكوسلوفاكيا والنمسا هاربة من الحكم السوفيتي الذي يضطهد تلك البلاد .
وألفت هذه الأفواج عصا ترحالها في بافاريا ونورت باذن وورتمبرج ، كما انحدرت إلى برلين
والمقاطعات التي تحيط بها كبويميرانيا ومكلنبرج وبراندبرج ، فزادت الطين بلة ، وهؤلاء
الهائون على وجوههم الذين التهمت الحرب آمالهم وغائلاتهم وشردتهم مخطى الأعصاب

يؤلفون مع زملائهم لألمان أقواما عجيبية من الفجر الرحل ، وهم يتجولون في الطرقات المهدامة ويحوسون الخرائب القريية من المسكرات يفتشون بين القمامات وعلب الصفيح الفارغة عما يسكون به الرمي . حتى إذا ما جن الليل عليهم نصبوا خيامهم الممزقة المهلهلة وأشعلوا النار في الأحطاب يستدفئون بها ، ثم ينامون غير عابئين بما يحبته القدر في قابل أيامهم !

١٣ مايونا لا ماوى لهم !

ويبلغ اليوم عدد الألمان الذين لا ماوى لهم ١٣ مليونا موزعين على مناطق الحلفاء المختلفة . يضاف إليهم بضعة ملايين أخرى من الهائمين في كل مكان لا يعرفون لهم أرضا ولا مقاما . . . وهؤلاء جميعا يستهدفون نشر أنواع الأمراض . بسبب قنات الأطلعمة التي يلتقطونها من القمامات والمعروضة للكروبات والذباب مما قد ينشأ عنه انتشار أمراض وبيلة قد تحتاج أوروبا كلها .

نقص التغذية :

وقد أحصى مقدار الطعام الذى يقدم للشخص الألماني في اليوم فاذا به لا يتجاوز " ألف سعر " وهى وحدة حرارية لا تكفى الإنسان للحياة وتهدهه بالموت . لأن الانسان يحتاج في اليوم إلى ٣٥٠٠ سعر وهو ما تقدمه السلطات الأمريكية لجنودها . وقد سبق أن قدمت بريطانيا لجنودها في حالات سيئة ألفى سعر وكان ذلك عملا مستقدا منها ما لبث أن تداركته إبقاء على حياة الجنود .

ومن هنا يبدى المطعمون على أسرار الأمور قلقهم من الخطر الذى تستهف له ألمانيا وأوروبا بسبب نقص التغذية . وقد صرح كولونيل أميركى من المراقبين بأن قبة الغذاء ستعاون مع البرد القارس في هذا الشتاء على إحداث كارثة يموت فيها ما بين خمسة ملايين وعشرة ملايين شخص في ألمانيا وحدها . ويزداد هذا التقدير ازديادا كبيرا ما لم تتخذ تدابير حاسمة عاجلة .

وكانت أمريكا قد أرسلت إلى أوروبا في خلال تسعة أشهر وعقب إعلان الهدنة في الحرب العالمية الماضية أربعة ملايين طن من الأغذية . فأطعم بها ستة عشر مليون طفل أوروبى . ولكن في هذه الحرب لم ترسل أمريكا إلى اليوم غير ١٢٠,٠٠٠ طن وهى كمية قليلة للغاية بالنسبة لزيادة عدد الجائعين في هذه الحرب عن الحرب الماضية ، وبالنسبة لفشل محصول القمح في ألمانيا . ومحتاج أوروبا عاجلا إلى كمية من الغذاء لا يقل مقدارها عن ثمانية ملايين من الأطنان !

الأطفال المشردون !

وما يستأنت النظر أن السواد الأعظم من المشردين والجانحين في ألمانيا ودول أوروبا هم من الأطفال . وإذا قلنا الأطفال فانما نعني عدة أوروبا ومستقبلها وأسباب سلامها . فإن هؤلاء الصغار سينشأون ضعافا هزيلي الأجسام ، وسيشبهون على حياة اجتماعية قاسية تنكرها المدنية ، حياة كلها تعاسة وتمرد وبغضاء واجرام . فكيف تكون حال أوروبا وحال السلام في المستقبل وهذه حال أطفالها الذين يعدون بالملايين ؟ ؟

مشكلات ثلاث :

ويعترض العلاج ثلاث مشكلات هي : المشكلة رقم "١" الخاصة بالنقل الداخلي فان هناك صعوبات تقوم في وجه التوطين في هذه الأيام بسبب قلة وسائل النقل ونحار الطرق وتدمير الخطوط الحديدية . . . والمشكلة رقم ٢ وتتعلق بقلّة الوقود اللازم لتدفئة وتسيير حركة النقل كما ينبغي وإعداد الأطعمة . . . أما المشكلة الثالثة فهي تدمير "العلماء" الكافي لحفظ حياة الناس حتى يتم استقرار العمران .

العاطلون . . .

وتلوح خلف هذه المشاكل الثلاث مشكلة لا يخفى الحلفاء خطورتها ، وهي تضخم عدد العاطلين في الدول الأوروبية جميعا خصوصا في إيطاليا وفرنسا وألم شرق أوروبا والبلقان . وهذا التعطل المستفحل نتيجة تلازم كل حرب بعد عودة اللاجئين والأسرى وتسريح الجيوش ، وتدمير المصانع ، ونحار المزارع وما اليه . . . ولكن مما يزيد هذا الأمر تعقيدا وخطورة أن أسباب التدمير وسبل تشغيل الأيدي العاطلة غير متيسرة الآن على نطاق واسع . وكل تأخير في توفير الأعمال التي تكفل الحياة لهؤلاء العاطلين مع عائلاتهم . يؤدي الى عواقب اجتماعية لا يقلل العارفون من شأنها . وقد بدأت هذه العواقب تظهر في شكل ما أسموه "الموجة الحمراء" وبمعنى آخر الموجة الاشتراكية التي شجعت روسيا في شرق أوروبا والبلقان ، وتشجعها في إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا حيث يوجد في كل من هذه البلاد حزب كبير يستند الى جماعات تطالب بالاصلاح الاجتماعي وبالعمل الخ .

الانحلال العائلي :

. وقد أثمرت الحرب حالة اجتماعية شاذة لم تكن مألوفة في أوروبا . وحى تختص بالعائلة والنسل . فقد تهدمت ملايين العائلات في كل مكان بموت عائليها وبتشريد أفرادها . وارتفع عدد الأرمال ارتفاعا عجيبا . وكثرت النساء العجائز اللواتي القى القدر على اكتافهن الضعيفة عبء الاشراف على حطام أسرتهن المكون من أطفال وفتيات صغار . . .

وبين هذا وذاك انفجر البغاء فأصبح عمال لا مسئولية عليه ولا معاب . وانتشرت الأمراض المتسببة عن هذا العمل الأليم حتى بلغت نسبتها في بعض دول شرق أوروبا ٤٠ في المائة !

وقد كانت ألمانيا والدول الأوروبية تجعل للزواج قيودا وروابط ، ولكن انحلت هذه الروابط بروحشية الحرب وسبي النازيون الفتيات الأوروبيات والرومانيات . وأصبحت رابطة الزواج يمر عنها اليوم في ألمانيا بالتأخي مع جنود الحلفاء . وكان النازيون يعتبرونها في خلال الحرب نوعا من ترفيه جنودهم مع الحسان . .

وقد انتجت هذه الفوضى الجنسية عشرات الآلاف من الأطفال غير الشرعيين ويبدو ذلك على أشده في فرنسا حيث أخذت وزارة الشؤون الاجتماعية تنظر في أمر هؤلاء الأطفال وكيف توجد العمل لأمهاتهم الفرنسيات المنكوبات الحظ .

وهكذا يجابه الحلفاء في أوروبا مشاكل اجتماعية بالغة الأهمية تزيد في خطرها على المشاكل السياسية . وإن لم يحزموا الأمر على علاجها عاجلا فعلا سريعا ستنتهي إلى بفاع وتطورات لا يعلم مداها إلا الله .

لطف الله بأوروبا في اضطرابها ونحراها !

حمن مظهر